في الجزائر

في العاشر من حزيران عام 1962 كتب في صحيفة النصر ما يلي:

يكشف الفريق المتقاعد عفيف البزري في بيانه اليوم الصراع الاستعماري في الجزائر على ثرواتها وبترولها الغزير. وكيف تدخلت الاحتكارات الأمريكية لانتزاع حصة الأسد من هذه الثروات وقدمت المساعدة للاستعمار الفرنسي في حربه القذرة ضد ثورة شعب الجزائر، ولما انتصر شعب الجزائر وألب شعوب العالم وقواه الحرة لمؤازرته سلك الاستعمار الأمريكي طريقا آخر وكلف عبد الناصر بإجهاض ثورة الجزائر وتحويلها إلى مد انتهازي. وباشر فعلا بالتفرقة بين زعماء الثورة، وأخذ يكرر في الجزائر ما فعله بالعراق، وفيما يلي نص البيان:

نشال الانتصارات في الجزائر

"لقد زوّر علي عبد الناصر، وزوّر علي جهاز الناصرية أشياء كثيرة. وكنت على ثقة وإيمان كبيرين بأن الأيام ستكشف كل تلك الأكاذيب، وستفضح ذلك الدجّال الذي لم ير العرب طيلة تاريخهم أشد غدرا منه لقضاياهم. وقد أتت الأيام التي فضحته وعرته على حقيقته. وحققت ما كنت أومن بوقوعه فظهر "العملاق" عبدا غارقا حتى شحمتي أذنيه في قذارات الاستعمار الأمريكي.

وفي هذه الأيام يعود عبد الناصر إلى ترديد ما كان يقوله عني في الماضي فيكذب ويزوّر ويشتم. وقد قلت في مقال سابق أن من العبث مناقشة الناصرية ومناقشة عبد الناصر، لأن المناقشة لا تدور إلا بين الذين يحسنون النية ويبغون الحقيقة، وهي لا تدور مع المزوّرين. أضف إلى هذا أن ما أورده في المقالات التي أكتبها وقائع أثبتت صحتها الأيام، واعترف عبد الناصر بها جميعا، على لسانه أو على ألسنته الأخرى في الصحف والإذاعات. لذلك لن أكلف النفس في الرد على شتائمه وكذبه، لأن أقواله لا تساوي أكثر مما يساويه هو، وإنما سأستمر في فضح أعماله وجرائمه التي يرتكبها ضد أمتنا وضد بني الإنسان قاطبة، حتى يزول حكمه ويستريح الناس من شره."

الجزائر مستودع هائل للثروات الحرورية

كي نفهم بوضوح تطورات الأحداث في الجزائر لا بد لنا من أن ننظر إلى جميع القوى المشتركة في الصراع هناك ومن أن ننظر إلى موضوع هذا الصراع..

كان القطر الجزائري، قبل الحرب العالمية الثانية، يوفر للمستعمرين الفرنسيين موردا كبيرا من اليد العاملة الرخيصة الثمن، وكان هذا القطر يشكل مجالا واسعا لقيام الاستثمارات الزراعية الرأسمالية: الحمضيات، الخمور، الفلين، الحلفا، الدوم وهو نوع من النخيل يفيد في صناعة الورق الخ..

وفي الجزائر توجد معادن الحديد التي تصدر إلى إنجلترا، وفيها الفوسفات، والذهب والرصاص والألمنيوم الخ.. وهناك بعض الصناعات الخفيفة كما أن هذا القطر كان يشكل سوقا للتجارة الاستعمارية الفرنسية، وكان يشكل مهجرا قريبا لكل فرنسي لا يجد عملا في وطنه الأصلي.

من المعلوم أن الاقتصاد الرأسمالي الاستعماري قد تطور منذ أمد بعيد إلى احتكاري يضم مجموعات من الاحتكارات الجبارة. فملوك الاحتكار يجلسون على قمة هرم اقتصادي يشرفون منها على قطاعات اقتصادية كاملة تضم عشرات الشركات التي تنتج السلع. لذلك لم تكن النشاطات الاقتصادية التي أشرنا إليها آنفا في القطر الجزائري بعيدة عن التبعية للاحتكار الفرنسي. إلا أنه يجدر بنا أن ننتبه إلى أن المصالح العليا للاحتكار لا تتفق على الدوام مع مصالح أتباعه، وعند وقوع اختلاف المصالح يكون الحل دوما في مصلحة الأسياد ضد مصلحة الأتباع.

بعد الحرب العالمية الثانية بدأت روائح البترول الجزائري تتصاعد بشدة، وبدأت الجزائر لذلك تكتسب أهمية خاصة وتثير الانتباه الاحتكاري إليها. وحتى هذا التاريخ كانت الاحتكارات الفرنسية في مركز التبعية المخزي في "الكونسرتيوم" البترولي العالمي، الكونسرتيوم الذي تتزعمه أمريكا وإنجلترا معا. والسبب واضح: ليس لفرنسا ممتلكات فيها ثروة بترولية. وعندما تدفق البترول

الجزائري صاح رئيس وزراء فرنسا بورجيس مونـــوري "إن ثـــروة الـــصحراء ومعادنها ستكون العامل الفعال في رفع مستوى معيشة الفرنسيين".

وتتالت الصيحات، فقال بعض الاقتصاديين الفرنسيين عن البترول الجزائري: "إنه بداية تحول خطير لكي تصبح الجزائر موردا يرفع معيشة الفرنسيين، وكنزا يغدق عليهم الرخاء بعد طول الحرمان".

وبالفعل وجد أن مناطق البترول الجزائري الثلاث، حاسي مسعود والرميلة والأغواط تتضمن احتياطيا في هذا الذهب الأسود يقدر بسبعة مليارات برميـــل، وهذا تقدير أولي، وقد بلغ الإنتاج في عام 1961 نحو 60 مليون برميل، وسيبلغ في عام 1963 نحو 70 مليون برميل، إي ما يقرب من نصف احتياجات فرنسا في هذه المادة الثمينة. أما احتياطي الصحراء الجزائرية من الغاز فيبلغ ألفـــي مليار متر مكعب في منطقة واحدة منها فقط: منطقة حاسي الرميل، التي تعـــد أول منطقة في العالم من حيث الغنى بالغاز. يضاف إلى هذا مناطق صحراوية أخرى لم يجر تقدير ما فيها من غاز، كما أن هناك 200 متر مكعب تستحق صيحات الحماس الفرنسية الآنفة الذكر.. القوى المتصارعة.

لو أن الشعب الجزائري استكان للاستعمار الفرنسي لما كانت هنالك أيـــة مشكلة أمام هذا الاستعمار: كانت الاحتكارية الاستعمارية الفرنسية تستطيع الاتفاق تماما مع أتباعها الفرنسيين أصحاب المصالح المباشرة فـــي الجزائـــر القديمـــة، الجزائر التي قلنا عنها أنها لا تتضمن إلا اليد العاملة الرخيصة، وإلا الحمضيات والخمور الخ.. ذلك لأن الاحتكار الاستعماري الفرنسي يضرب عصفورين بحجر واحد في حالة سكوت الشعب الجزائري يُسرق: بترول الجزائر، ويضمن لأتباعه استمرار سرقاتهم من هذا القطر. الأتباع الذين يدعون في العادة بالمـــستوطنين الفرنسيين. إلا أن الشعب الجزائري لم يسكت وقام بثورته اللاهبة عام 1954. وقد حاولت الاحتكارات مع أتباعها المستوطنين إخماد هذه الثورة بالقوة. فتقـــدم مندوبو الاحتكارات الفرنسية الكبرى بطلب إلى حكومتهم بعدم منح أي نوع من الحريات للجزائر. واقترح هؤلاء المندوبون مساعدات ماليـــة ضـــخمة تـــدفعها احتكاراتهم لميزانية الحرب الاستعمارية في القطر الجزائري. وعنـــدما عجـــزت

الحكومات الفرنسية المتتابعة عن إخماد هذه الثورة الجبارة، قامت الاحتكارات الفرنسية مع المستوطنين الفرنسيين بانقلاب عسكري أتى بالجنرال ديغول إلى الحكم. وكان هؤلاء يظنون أن قلة حزم الحكومات البائدة كان هو السبب في فشل الجيش الفرنسي في قمع الثوار الجزائريين. إلا أن الأحداث بينت أن حزم ديغول لا ينفع شيئا أمام البطولات الخارقة للشعب الجزائري.، وأمام الفطنة والإدراك الكبيرين لقادة هذا الشعب الثائر، وأمام الشعوب العربية التي لم تضن أبدا بالمساعدة للثوار، وأمام الرأي العام العالمي الحر المعادي للاستعمار. عندئذ لم تجد الاحتكارات الفرنسية بدا من أن تفعل شيئا لإنقاذ الأهم، إنقاذ المصالح البترولية في الصحراء ولو كان على حساب المصالح التافهة نسبيا للمستوطنين. لقد شعرت الاحتكارات الفرنسية بان فرنسا أصبحت دولة ثانوية بسبب حرب الجزائر. فجيشها الذي يخوض حربا استعمارية منذ مدة طويلة يخسر من جميع النواحي في قتال الثوار، في معنوياته وفي تدريبه. إن الحرب ضد المستعمرات تختلف عن الحرب ضد جيوش كبيرة، فهي لا تفيد شيئا في التدريب في عصر تطورت فيه الأسلحة تطورا كبيرا. فلا بد إذن من إنقاذ الجيش الفرنسي ولا بد من إنقاذ المصالح البترولية. لذلك وجدنا ديغول يهرع إلى تقديم عدد كبير من العروض على الشعب الجزائري منذ عام 1959 وانتهى الأمر إلى اجتماع "ايفيان" الأول بين الثوار وبين الفرنسيين وقد دب الخلاف عندئذ بين الاحتكارات في فرنسا وبين المستوطنين لأن الاعتراف للجزائر بحق تقرير المصير مع إنقاذ المصالح الاحتكارية في بترول الجزائر وإنقاذ الجيش الفرنسي من الحرب الاستعمارية الجزائرية ينقذ الاحتكار الفرنسي الاستعماري ويرفعه إلى سوية زميليه الأمريكي والبريطاني في أوروبا، إلا أنه يفقد المستوطنين وضعهم كسادة لشعب مغلوب على أمره.

هنا نتمكن من رؤية قوى أربع تصطرع في الجزائر في الأعوام 1960، 1961، 1962.

الشعب الجزائري بقيادة حكومته الثائرة، ومن ورائه الشعوب العربية وكل الشعوب الحرة بما فيها أحرار فرنسا ذاتها.

الاحتكار الفرنسي الاستعماري الذي يريد ضمان مصالحه البترولية في صحراء الجزائر.

المستوطنون الفرنسيون أصحاب المصالح التافهة نسبيا، عند المقارنة بالمصالح البترولية، وأنصارهم من غلاة المستعمرين في فرنسا..

الاستعمار الأمريكي الذي سنرى فيما يلي علاقته بهذا الصراع. الاستعمار الأمريكي يمد أنفه.

إن رائحة دماء الضحية التي تنزف بمخالب الوحش المفترس تثير شهية وحش مفترس أضخم، لذلك نجد الأمريكان يهرعون إلى معمعة الجزائر وفي جعبتهم المدفع والدولار.. فمنذ أول أيام الثورة عندما لم يكن أحد من المستعمرين يتمكن من رؤية انتصار الشعب الجزائري، أغدق المستعمرون الأمريكان مساعداتهم على المستعمرين الفرنسيين.

كانت مدافع ودبابات وشاحنات وطائرات وذخائر أمريكا تقتل الجزائريين الصابرين في جميع ميادين الجزائر الصامدة. وكانت دولارات أمريكا تنهال على خزائن الحكومة الفرنسية المفلسة لمساعدتها على تموين الحرب القذرة ضد شعب الجزائر. وقبضت الاحتكارات البترولية الأمريكية ثمن هذه المساعدة حصة كبيرة من بترول الصحراء، وجاء الفنيون الأمريكان يشاركون الفنيين الفرنسيين في التنقيب عن هذا البترول.

ثم إن الحرب الجزائرية طالت، وما كان مضي الأيام إلا ليزيد في قوة الثوار والثورة. وإلا ليزيد في نفوذ الحكومة الجزائرية لدى شعوب الأرض. وظهر أخيرا أن الشعب الجزائري لا بد منتزع النصر في النتيجة مهما طالت الأيام. ثم بدأت الاحتكارات الفرنسية الاستعمارية تتراجع، وبدأت تفتش عن حل سلمي يحفظ لها مصالحها البترولية وينقذ لها جيشها من الحرب الاستعمارية الخاسرة. عندئذ لاحت أمام ناظري الاستعمار الأمريكي آمال جديدة: لم لا يطرد الاستعمار الفرنسي نهائيا من الجزائر ليحل محله هو؟..

بدأ التدخل الأمريكي بشكل سافر منذ أواخر عهد ايزنهاور، وكانت الصحافة الفرنسية تكتب حينذاك الأبحاث الطويلة عن المطامع الأمريكية في بترول

الجزائر. وبلغ الأمر إلى أن مصافي البترول الموجودة في فرنسا والتي تخضع للكونسرتيوم البترولي العالمي الذي يسيطر عليه الأمريكان، أخذت عام 1960 ترفض معالجة البترول الآتي من الجزائر، ولم يكن في وسع الاحتكارات الفرنسية أن تبني مصافي جديدة للبترول. لما يتطلبه هذا الأمر من مال كثير ووقت طويل.. وفي ذات الوقت كان الضغط السياسي يرافق الضغط الاقتصادي فكنا نسمع من الطرف الأمريكي مثلا أن أمريكا لا تستطيع مساندة فرنسا طويلا في قضية الجزائر أمام الأمم المتحدة وفي المحافل الدولية وكان هذا التهديد لا يفيد العرب شيئا من الناحية العملية، لأن قضية الجزائر كانت قد اكتسبت منذ زمن بعيد الرأي العام العالمي على الرغم من معارضة جميع المستعمرين، ومن جملتهم الأمريكان. ولأن أسلحة حلف الأطلسي والأسلحة الأمريكية كانت لا تنفك تفتك بالجزائريين الأبطال. إلا أنه أي التهديد الأمريكي يبين بوضوح طبيعة الشركة بين الاستعمارين، ويفضح الأطماع الأمريكية في بترول الصحراء، ويفضح ضغطهم على المستعمرين الآخرين، على الفرنسيين لزيادة حصتهم.

كان الأمريكان يحاولون بشتى الوسائل إيقاع القادة الجزائريين في شباكهم منذ وقت مبكر من الثورة الجزائرية. إلا أن طبيعة هذه الثورة ووطنية قادتها كانتا تمنعان أية مساومة بين الثوار وبين استعمار كالاستعمار الأمريكي.

وقد فضح الرسميون الجزائريون هذا الاستعمار في أكثر من مناسبة. وبينوا مدى إجرامه في مشاركته المستعمرين الفرنسيين في تقتيل أبناء الجزائر. ومع ذلك فقد اتصل السفير الأمريكي في تونس أكثر من مرة بحكومة الثورة الجزائرية في عام 1961. وكانت وزارة الخارجية الأمريكية تعلن في كل مرة أن هذا الاتصال لا يشكل اعترافا بحكومة الجزائر الثورية. وكان القصد الأمريكي من هذا الإعلان مراعاة عواطف الشركاء الفرنسيين. إن الأمريكان في الواقع وفي نهاية الحساب كانوا يعتمدون على عبد الناصر للعمل على إجهاض الثورة الجزائرية وتحويلها إلى حركة انتهازية في حالة نجاحها ضد الفرنسيين.

إن عبد الناصر فعل الكثير من أجلهم في المشرق العربي، فكانوا يأملون منه أن يفعل الكثير أيضا من أجلهم في المغرب العربي.

* * *

إساءة معاملة الجزائريين

عندما كنت في مصر، بعد قيام الوحدة، كنت كثيرا ما ألتقي بأعضاء لجنة التحرير الجزائرية. وقد سمعت من بعضهم مر الشكوى من المعاملة السيئة التي يلقاها الثوار الجزائريون من عبد الناصر. هؤلاء الثوار الذين قادوا ضد الاستعمار معركة الجزائر التي رفعت جبين العرب، بل جبين الجنس البشري بما حققته من بطولات، أقول هؤلاء الثوار لم يكن ينتبه إليهم في مصر إلا مباحث عبد الناصر. أي أن أمورهم، وأمور ثورتهم الكبرى كانت بيد ضابط صغير في المباحث، لو أن الأمر يتعلق بمصر وحدها عند تقرير مصير الجزائر. إن كبيرا فيهم مثلا لم يشاهد الرئيس طيلة سنتين إلا كما يشاهده الناس العاديون من الشرفة..

وقد قص علي أحدهم قصة أربع ممرضات جزائريات أتين للتدريب في القاهرة، فقال لي أن المباحث الناصرية حاولت أن تشتريهن. وقد احتج الجزائريون على هذه المحاولة وقالوا للمسؤول المباحثي: إننا لا نخفي عنكم شيئا، فإذا أردتم معرفة أي شيء فما عليكم إلا أن تسألونا نحن، ثم ما هي حاجتكم وحاجة مصر إلى معرفة ما يدور في أرض الجزائر؟ إن ما يدور في هذه الأرض هو من شأننا نحن فلا يفيدكم شراء أحد من جنودنا أو ممرضاتنا ليخبركم عما يدور هناك.. وقد تبين أن مباحث عبد الناصر كانت تريد التجسس على الزعماء الجزائريين الذين يعملون في الجزائر، لذلك حاولت شراء الممرضات المذكورات. وهذه المحاولة لم تكن الأولى ولا الأخيرة من نوعها.

وكانت تحجز الإعانات النقدية التي تجمع من الشعب المصري، ويعطى بدلا عنها إعانات عينية كالرز والملابس وغيرها. ومن الواضح أن الجزائريين كانوا بأمس الحاجة إلى النقد لسهولة إدخاله إلى الجزائر، إذ لا يستطيعون حمل البضائع كالرز وغيره تحت أنف سلطات الاحتلال الفرنسية في ذلك القطر.

إن هذا الذي يتبجح ويمنن الجزائريين في كل مناسبة لم يخصص في ميزانية مصر أي مبلغ لثورة الجزائر حتى عام 1959، وقد طلبت بنفسي عند قيام الوحدة أن نتبرع بمليون جنيه استرليني أتت من مؤامرة أجنبية فرفض الرئيس بذاته هذا الطلب، وقال اننا سنخصص هذا المبلغ لمشاريع انماء.. ثم اختفى المبلغ ولم يظهر له أي أثر.. ومما لا شك فيه أن المباحث التي كانت تستعد لخوض معركة ضد شعب سورية كانت بحاجة إليه.

وهنالك قصص كثيرة، وقد ترك الجزائريون القاهرة في نهاية الأمر هربا من الناصرية. ومع ذلك لم تنته تدخلات المباحث ومضايقاتها بعد انتقال الحكومة المؤقتة إلى تونس: منعت مصر مرور أسلحة صينية وحاولت فرض شروط سياسية على حكومة الجزائر. وهنالك تساؤلات كثيرة عن فقدان باخرة الأسلحة" أتوس" وكانت مصر تماطل في دفع نصيبها من ميزانية الجزائر، الميزانية التي فرضتها الجامعة العربية الخ..

هذه الأساليب في معاملة الناصرية للمسؤولين الجزائريين نعرفها نحن السوريين جيدا. إن الغاية منها هو تفريق الصف وخلق التناقضات في صفوف الجبهة العربية التي يريد عبد الناصر ابتلاعها. فحسنين هيكل، الناطق بلسان عبد الناصر، كتب في تحقيقه الصحفي الأخير بتاريخ 6 تموز 1962 أن ضابطا جزائريا شكا له مر الشكوى من قادة الثورة لتقصيرهم في إمداد الجيش العامل على أرض الجزائر، وهذه الشكوى لا تتفق مع الواقع، لان كل من اتصل وعمل مع قادة الثورة الجزائرية يعلم علم اليقين مدى إخلاص وتفاني هؤلاء القادة، وأنا أصدق عبد الناصر عندما ينقل شكوى الضابط الجزائري على قلم هيكل، لكنني أجزم بأنه عندما كان يضايق القادة الجزائريين فيمنع عنهم النقد مثلا ويعطيهم بدله رزا، كان يشيع بين صفوف الثوار الجزائريين بأنه هو الذي يفعل كل شيء، بينما لا تفعل لجنة تحرير الجزائر شيئا.. ألم يفعل ناصر ذات الفعل هذا عندنا في سورية؟

عبد الناصر يكرر في الجزائر ما فعله في العراق.

سمعنا في الأيام الأخيرة، والأسى يملأ قلوبنا، أن انشقاقا وقع في صفوف الثوار الجزائريين. وسمعنا والاشمئزاز يملأ نفوسنا أن عبد الناصر"تبرع" وهو قابع في جنات فاروق، بأعصابه ودمه "لرأب" الصدع الذي نجم عن هذا الانشقاق، تماما كما تبرع في أثناء حوادث حلب المشهورة.

ليس من قبيل الصدفة أن يأتي بن بيلا إلى القاهرة بعد خروجه من السجن في ظروف عربية لا تستدعي هذه الزيارة.. وليس من قبيل الصدفة أن ينتهي عبد الناصر إلى أن يأخذ طرف بن بيلا، بعد أن تظاهر بالحياد مدة يوم أو يومين.

* * *

تكرار ما حدث في العراق

لقد اجتمع عبد الناصر بعبد السلام عارف في أعقاب ظفر ثورة 14 تموز فدب الشقاق بين قادة هذه الثورة بعد هذا الاجتماع، ثم ظهر أن عبد الناصر كان يعمل في السر والعلانية على إجهاض الثورة العراقية وتحويلها إلى مد انتهازي يسمح له بابتلاع العراق. وكان الأمريكان من ورائه يساندونه طمعا "بتشليح" الإنكليز حصتهم من بترول العراق، وطمعا بطرد الإنجليز نهائيا من هذه المنطقة ليبقوا فيها وحدهم. إن الاستعمار وأعوانه يسقطون الشعوب دوما من حسابهم. ثم إننا إذا نظرنا إلى ما يحدث في الجزائر حاليا، على ضوء ما قلناه آنفا نجد أن عبد الناصر يحاول تكرار ما فعله بالعراق، فهو طيلة سنوات الكفاح الجزائري الدموي لم يوفر جهدا في مضايقة قادة هذه الثورة وفي الدس بين رجالها، وفي محاولة شراء من يستطيع شراءه حتى وصل إلى محاولة شراء الممرضات كما أسلفنا. أما صلاته بالأمريكان فهي معروفة من كل الناس كما أن المطامع الأمريكية في بترول الجزائر واضحة كل الوضوح. فلم يبق إذن إلا أن نستبدل العراق بالجزائر والإنجليز بالفرنسيين لنرى بوضوح كيف حاول عبد الناصر إجهاض الثورة الجزائرية لحساب الاحتكارات البترولية الأمريكية.

رأينا آنفا مختلف القوى التي تصطرع في الجزائر، الشعب الجزائري، والاستعمار الفرنسي، والاستعمار الأمريكي. ورأينا أن الاستعمار الفرنسي انقسم بتوالي الأحداث وصمود الشعب الجزائري، إلى قسمين: واحد يمثل الاحتكارات الاستعمارية والآخر يمثل المستوطنين. إلا أن هذا القسم الأخير، الذي يمثل الاستعمار القديم وطراز الاحتلال المباشر واستيطان بعض رعايا المستعمر في المستعمرات يشكل قوة تسير في طريق الانحلال. وقد ألقى معظم رجال المقاومة السرية الفرنسية سلاحهم بالفعل، عشية الاستفتاء على الاستقلال في الجزائر. إلا أن المستوطنين إذا كانوا فيما مضى يعارضون في استقلال الجزائر، ضد الشعب الجزائري وضد حكومة فرنسا التي رأينا أنها اضطرت إلى التسليم بهذا الاستقلال فإنهم بعد استقلال الجزائر سيعودون إلى مسايرة فرنسا والاحتكارات الفرنسية في هذا القطر. ذلك لأن استقلال الجزائر سياسيا يصبح أمرا واقعا ولا فائدة في معارضته.

إن الشعب الجزائري بعد حصوله على استقلاله يصبح السيد المطلق لبلاده من الناحية الدولية أما الاحتكاريون الفرنسيون والأمريكان فهم ليسوا أكثر من مستعمرين طامعين. فبإمكان الجزائر أن تتبع سياسة حازمة ضد هؤلاء المستعمرين لتخلص حقوقها منهم، وهي بهذا بحاجة إلى وحدة الصف ووحدة جميع القوى الوطنية، سيما منها التي اشتركت في قيادة الثورة الجزائرية، من أولها إلى نهايتها. إن هذا الظفر الذي حققه الشعب الجزائري بعد الكفاح المرير الذي دام قرابة الثمانية أعوام يجسد جميع تجارب الكفاح الماضية ويكسب الجزائر مناعة كبيرة ضد مطامع المستعمرين. إلا أن تفرق كلمة قادة الثورة الجزائرية قبل توطد استقلال بلادهم يوقع الجزائر في مهالك تكلفها الكثير من التضحيات الإضافية. ففي هذه الحالة تسهل إقامة دكتاتورية خائنة يسندها الاستعمار الأمريكي، أو إقامة حكومة ممالئة للاستعمار الفرنسي، وفي كل من هاتين الحالتين يحرم الشعب الجزائري نعمة الحرية التي ناضل من أجلها كل تلك السنين الطويلة، أضف إلى هذا، أن تفرق الصف الوطني الجزائري، يفتح الباب على مصراعيه لإيجاد تسويات بين الاستعمارين الأمريكي والفرنسي على

حساب شعب الجزائر. الأمر الذي لا يتيسر لهؤلاء المستعمرين فيما لو وقف الجزائريون صفا واحدا أمامهم.

لا يمكن لأي اتفاق بين الفرنسيين والأمريكان أن يكتسب أية قيمة عندما يوجد صف وطني جزائري واحد متماسك يعارض كل مشروع استعماري. هنا يتضح في ذهننا بكل جلاء مدى الجريمة النكراء التي ارتكبها عبد الناصر في إذكاء الخلاف والبغضاء في الصف الوطني الجزائري. لقد شيد استقلال الجزائر على دماء مليون شهيد ويريد عبد الناصر أن يطعن هذا الاستقلال لمصلحة الاستعمار الأمريكي.

* * *

ليحذر الخميني

في صالة أحد الفنادق أقام حزب الله حفلا خطابيا بمناسبة مرور السنة الثالثة على الانتفاضة الفلسطينية.. جاؤوا بصورة كبيرة للخميني ذات إطار مذهب ووضعوها في صدر الصالة، ثم وضعوا في طرفها صورة صغيرة لطفل فلسطيني في الثالثة من عمره يلتقط حجرا يقذف به محتلي بلاده مقلدا بذلك إخوته الكبار.. قلت لنفسي: إنها رمز لاحتضان الخميني القضية الفلسطينية، كان يجلس قربي ابن فضل الله الزعيم الشيعي في لبنان، وكنا نتحدث عن شؤون فلسطينية. لم يلبث أن جاء رجال نزعوا صورة الطفل الفلسطيني ووضعوا مكانها صورة مصغرة للخميني كأنما الخميني يحتضن الخميني.. استأت لهذا التصرف وقلت لابن فضل الله: هكذا تبدأ الوثنية وعبادة الذات، تكون في البداية ثورة ثم يتلقفها المنتفعون بها ليقطفوا ثمارها دعاية لأنفسهم واحتكارا للمنافع التي أتت بها.. ومكان الثورة التي حققت ذاتها ينتصب صنم ووثنيون يتعبدونه.. هذا ما حدث لثورة الجزائر، إن جبهة التحرير الجزائري التي احتكرت الحكم ثلاثين عاما باسم المليون شهيد ليس فيها واحد من زعماء الثورة الذين قضوا في المنافي والسجون.. هذه السلطة التي ليس فيها واقعيا من حارب وحرر، أفرزت طبقة

فوق الشعب من السرقات والنهب. ولم تتورع عن قتل مائتي شاب كانوا في مظاهرة تطالب بالخبز والعمل.

فليحذر جماعة الخميني المخلصون من أولئك الناس الذين يلتفون بثورته ليتاجروا بها. أنقل هذا الكلام عني لوالدك، قل له فلان حذرني: مقتل الثورات هو أن تنقلب إلى وثنية!.

قام شاعر فلسطيني ألقى قصيدة، وآخر خطب ملقيا اللوم على الأنظمة العربية ثم طلب مني أن أرتجل كلمة:

– تلومون الأنظمة العربية على عجزها و تقصيرها فماذا فعلتم أنتم كثورة؟ كل منظمة فيكم تتصرف وكأنها دكان تخشى أن يقترب أحد من صندوقها وتمويلها الذي لا تريد أن ينازعها فيه أحد. متى تجتمعون تحت راية واحدة؟ متى تصبحون يدا واحدة لا هدف لكم إلا تحرير بلادكم؟ متى؟

* * *